٨- البيوت السرية وأمن الاجتماعات والمخابئ

قد تكون هذه جوانب لوجستية وفنية، ولكن دونها لا يستقيم العمل، بل ليس ثمة عمل سري على الإطلاق. وحتى «في الأدغال ثمة قواعد سرية ومخابئ» جيفارا، بل كانت خسارته فادحة في بوليفيا بعد أن وضعت السلطات، المدعومة من أمريكا، يدها على المخبأ الإستراتيجي بما يحويه من أسلحة وأغذية، بعد أيام قليلة من تسلقه ورفاقه جبال بوليفيا... وتجربة المقاومة الأوكرانية والثورة الفيتنامية سجلتا خبرات واسعة في هذا الشأن اتصالا بكثافة واتساع الغابات إلى درجة أن تتسع القاعدة لمئات المقاتلين وعوائلهم.

عرف قطاع غزة في أواخر الستينات وبدايات السبعينات خبرة الأوكار التي تُبنى في البيارات، وهذا الشكل كان الأكثر شيوعا، ساعد على ذلك انتشار بيارات الحمضيات في مساحات واسعة، وأوجبه أيضا سهولة محاصرة المخيمات وقصفها واجتياحها، بما يلحق أضراراً بالغة بالمقاومين والمواطنين على حد سواء، إلى درجة أن يقوم شارون بشق طرقات عريضة في عدد من المخيمات وهدم أعداد كبيرة من البيوت لتسهيل السيطرة على المخيمات واصطياد المقاومين...

مثلما عرف قطاع غزة الأوكار تحت البيوت وباحاتها ومرافقها كما الجدار المزدوج والسقف المزدوج...

أما الضفة الفلسطينية فهي أكثر رحابة من قطاع غزة ومساحتها تناهز سبعة عشر ضعفا، ولا تخلو جبالها من كهوف وبعض التلال الحرجية... حيث استقبلت دوريات فدائية عديدة اعتصمت في الجبال أو تسرب بعض نشطائها للمدن والقرى لأغراض التجنيد وتأمين الطعام...

لم تكن خبرة البيوت السرية واضحة إلا كمقرات مؤقتة لفدائيين يمتشقون سلاحهم أو...

فالبيت السري لا يعلم به إلا «أهل الشأن» سواء استخدم للطباعة أو للاجتماعات أو لتخزين النشريات وتوزيعها أو للنوم وقت الاضطرار... ناهيكم عن بيت التخفي الذي يعامل ضمن خصوصيته، أي يقوم عليه من يساعد المتخفي، الذي يحظر عليه الحركة والاحتكاك بالناس إجمالا ويصبح أثراً بعد عين، وأحياناً تتوافر عائلة تحتضنه لبعض الوقت.

كلما كان المتخفي رشيقا، لطيفا، صبورا، معافىً كان أفضل. فمرضه عبء على المحيطين به، وخشونة طباعه أو نزقه قد تجعله يصطدم مع شروط المكان، وإن لم يكن صبوراً سوف تتضاعف معاناته ليس ارتباطا بشروط التخفي المفتوح على عالم المجهول، بل توتير علاقاته كلما استأخر